مذبحة الحرم الإبراهيمي في الخليل – 25 شباط 1994

في فجر **الجمعة 25 شباط/فبراير 1994، الموافق 15 رمضان 1414هـ**، ارتكب المستوطن الإسرائيلي المتطرف **باروخ غولدشتاين** مذبحة داخل الحرم الإبراهيمي في مدينة الخليل المحتلة، عندما فتح النار من سلاح آلي على المصلين الفلسطينيين أثناء صلاة الفجر.

ووفق الأرقام التي تعتمدها وكالة الأنباء والمعلومات الفلسطينية «وفا»، استشهد **29 مصليًا فلسطينيًا داخل الحرم** وأصيب نحو **150 آخرين**.

وفي الساعات والأيام التالية، قتلت قوات الاحتلال الإسرائيلي فلسطينيين آخرين خلال الاحتجاجات والمواجهات وتشييع الشهداء في الخليل ومناطق أخرى من الأراضي الفلسطينية المحتلة، لترتفع الحصيلة الفلسطينية التي تعتمدها «وفا» إلى **50 شهيدًا**.

شكّلت المجزرة واحدة من أخطر جرائم عنف المستوطنين في مرحلة ما بعد توقيع اتفاق أوسلو الأول، وأدت إلى أزمة حادة في العملية السياسية، كما تركت آثارًا طويلة المدى على مدينة الخليل والحرم الإبراهيمي نفسه.

الخليل بعد اتفاق أوسلو

وقعت المجزرة بعد أقل من ستة أشهر على توقيع إعلان المبادئ الفلسطيني–الإسرائيلي، المعروف باتفاق أوسلو الأول، في أيلول/سبتمبر 1993.

وكانت قضية المستوطنات قد أُرجئت بموجب الاتفاق إلى مفاوضات الوضع الدائم، الأمر الذي أثار توترًا شديدًا داخل أوساط المستوطنين الإسرائيليين المتطرفين المعارضين لأي انسحاب أو تسوية إقليمية مع الفلسطينيين.

وكانت الخليل تتمتع بوضع بالغ الحساسية، إذ كانت تضم تجمعًا صغيرًا من المستوطنين الإسرائيليين في قلب مدينة فلسطينية كبيرة، إلى جانب مستوطنة **كريات أربع** المجاورة.

وتشير تقارير الأمم المتحدة لعام 1994 إلى أن مدينة الخليل كان يسكنها نحو **110 آلاف فلسطيني**، بينما كان وسط المدينة يضم نحو **400 مستوطن إسرائيلي** يعيشون بين نحو 15 ألف فلسطيني.

باروخ غولدشتاين

كان باروخ غولدشتاين طبيبًا إسرائيليًا أميركي المولد يقيم في مستوطنة **كريات أربع** المقامة بجوار الخليل.

وكان من أتباع حركة **كاخ** التي أسسها الحاخام مائير كاهانا، وهي حركة قومية دينية متطرفة عُرفت بمواقفها العنصرية تجاه الفلسطينيين والعرب ودعواتها إلى طردهم.

فجر 25 شباط/فبراير 1994

دخل غولدشتاين الحرم الإبراهيمي في ساعات الفجر وهو يرتدي زيًا عسكريًا ويحمل بندقية آلية وكمية من الذخيرة.

كان مئات الفلسطينيين يؤدون صلاة الفجر داخل الحرم في شهر رمضان.

فتح غولدشتاين النار على المصلين بصورة متواصلة، مستهدفًا تجمعًا كثيفًا من الرجال خلال الصلاة.

وتشير التحقيقات التي نُقلت في وثائق الأمم المتحدة إلى أنه أعاد تعبئة سلاحه عدة مرات وأطلق ما لا يقل عن **111 طلقة**.

واستمر إطلاق النار إلى أن تمكن عدد من المصلين الناجين من الوصول إليه والسيطرة عليه وقتله.

29 شهيدًا داخل الحرم

استقرت الحصيلة الأكثر اعتمادًا لاحقًا على استشهاد **29 فلسطينيًا داخل الحرم الإبراهيمي**.

وتذكر «وفا» إصابة نحو **150 مصليًا**.

أما التقارير الأولى التي صدرت في الساعات التالية للمجزرة فقد حملت أرقامًا أعلى، إذ تحدثت بعض الرسائل الفلسطينية والأممية الأولية عن أكثر من خمسين أو ستين شهيدا.

ويعود جانب من هذا الاختلاف إلى حالة الفوضى التي أعقبت إطلاق النار وإلى خلط بعض التقارير المبكرة بين من استشهدوا داخل المسجد وبين الفلسطينيين الذين قتلتهم قوات الاحتلال لاحقًا خلال الاحتجاجات والمواجهات.

ماذا فعلت قوات الاحتلال الموجودة في الحرم؟

أثارت كيفية تمكن غولدشتاين من دخول الموقع مسلحًا وتساؤلات حول أداء قوات الاحتلال المكلفة بحراسة الحرم جدلًا واسعًا.

وذكرت تقارير فلسطينية أن جنود الاحتلال أغلقوا أبوابًا في الحرم أثناء المذبحة وأعاقوا وصول فلسطينيين من الخارج إلى المصابين.

كما أوردت وثائق الأمم المتحدة نتائج تحقيق للجنة الحقوقيين الدولية أفادت بأن أربعة فقط من أصل تسعة حراس كانوا موجودين في الموقع، وأن جنودًا أغلقوا البوابة الشرقية أثناء إرتكاب المجزره، وأن عمليات إخلاء بعض الجرحى تعرضت للعرقلة.

هل شارك أكثر من مسلح؟

في الساعات الأولى بعد المجزرة، تحدثت شهادات وتقارير فلسطينية عن احتمال مشاركة أكثر من مسلح أو وجود مساعدين لغولدشتاين.

وورد هذا أيضًا في الرسالة الفلسطينية الأولى التي رُفعت إلى الأمم المتحدة يوم المجزرة.

قتل الفلسطينيين بعد المجزرة

لم تتوقف الخسائر الفلسطينية بانتهاء إطلاق النار داخل الحرم.

فقد اندلعت مظاهرات ومواجهات واسعة في الخليل والقدس وقطاع غزة ومدن ومخيمات أخرى احتجاجًا على المجزرة.

واستخدمت قوات الاحتلال الإسرائيلي الرصاص ضد المتظاهرين في عدد من المناطق.

وتفيد «وفا» بأن **21 فلسطينيًا آخر** استشهدوا خارج المسجد وفي الأحداث التي أعقبت المجزرة، لترتفع الحصيلة إلى **50 شهيدًا**.

كما وصف قرار مجلس الأمن رقم 904 «المجزرة وتداعياتها» بأنها أودت بحياة أكثر من خمسين مدنيًا فلسطينيًا وأدت إلى إصابة عدة مئات.

فرض حظر التجول على الفلسطينيين

كان من أكثر تداعيات المجزرة إثارة للانتقاد أن سلطات الاحتلال فرضت حظر تجول طويلًا على الفلسطينيين في وسط الخليل.

وتوثق الأونروا أن المنطقة المركزية من المدينة بقيت تحت حظر تجول على مدار الساعة من **25 شباط/فبراير حتى 11 نيسان/أبريل 1994**.

وكان يعيش في تلك المنطقة نحو 15 ألف فلسطيني ونحو 400 مستوطن إسرائيلي.

وخلال فترات حظر التجول، سُمح للمستوطنين الإسرائيليين بالحركة بينما فُرضت القيود على السكان الفلسطينيين.

وأصبحت هذه السياسة بالنسبة إلى الفلسطينيين رمزًا للمفارقة التي أعقبت الجريمة: فقد ارتكب مستوطن المجزرة، لكن قيود الحركة الواسعة فُرضت على السكان الفلسطينيين.

قرار مجلس الأمن 904

أثارت المجزرة إدانة دولية واسعة وأدت إلى تحرك مجلس الأمن.

وفي **18 آذار/مارس 1994**، اعتمد المجلس القرار **904**.

أدان القرار بشدة المذبحة وتداعياتها، ودعا إسرائيل، بوصفها القوة القائمة بالاحتلال، إلى اتخاذ تدابير لمنع أعمال العنف غير القانونية من جانب المستوطنين.

وطالب باتخاذ إجراءات تكفل سلامة وحماية الفلسطينيين في الأراضي المحتلة، بما في ذلك إقامة **وجود دولي أو أجنبي مؤقت**.

كما أشار القرار إلى ضرورة اتخاذ تدابير بشأن الأسلحة التي يحملها المستوطنون.

الوجود الدولي المؤقت في الخليل

أدت المجزرة إلى مطالب فلسطينية بوجود دولي يحمي السكان في الخليل.

وفي **31 آذار/مارس 1994** توصلت إسرائيل ومنظمة التحرير الفلسطينية إلى اتفاق بشأن إنشاء **الوجود الدولي المؤقت في الخليل – TIPH**.

وتطور هذا الوجود لاحقًا إلى بعثة مراقبة مدنية دولية هدفت إلى المساهمة في الشعور بالأمن لدى الفلسطينيين ومراقبة الأوضاع في المدينة.

واستمرت صيغ مختلفة من البعثة حتى عام 2019، حين لم تجدد الحكومة الإسرائيلية ولايتها.

تقسيم الحرم الإبراهيمي بعد المجزرة

كان أحد أكثر الآثار الدائمة للمجزرة خطورة التغيير الذي فرضته سلطات الاحتلال على ترتيبات العبادة داخل الحرم الإبراهيمي.

فقد أغلق الحرم لأكثر من ثمانية أشهر بعد المذبحة.

وعندما أعيد فتحه في تشرين الثاني/نوفمبر 1994، فرضت سلطات الاحتلال نظامًا جديدًا يفصل بين المسلمين واليهود داخل المبنى.

وأُنشئت قاعات ومداخل منفصلة، إلى جانب ترتيبات تحدد استخدام الموقع خلال الأعياد الدينية.

ومنذ ذلك الوقت أصبح الحرم مقسمًا مكانيًا وزمانيًا بدرجات مختلفة بين المصلين المسلمين واليهود.

فبدلًا من إزالة الوجود الاستيطاني المسلح المحيط بالموقع، أدى الهجوم إلى فرض قيود جديدة وتقسيمات على الحرم والسكان الفلسطينيين.

المجزرة وعملية أوسلو

وقعت المجزرة في لحظة حساسة للغاية من مفاوضات أوسلو.

وعلقت القيادة الفلسطينية مشاركتها في المفاوضات لفترة وطالبت بضمانات لحماية الفلسطينيين وبنزع سلاح المستوطنين.

تأخر إعادة الانتشار في الخليل

تأخر تطبيق إعادة انتشار قوات الاحتلال الإسرائيلي في الخليل مقارنة بالمدن الفلسطينية الأخرى.

ولم يتم التوصل إلى بروتوكول خاص بالخليل إلا في **17 كانون الثاني/يناير 1997**.

وبموجب بروتوكول الخليل، قُسمت المدينة إلى منطقتين:

- **H1:** نحو 80% من المدينة، انتقلت فيها المسؤوليات إلى السلطة الفلسطينية.
- **H2:** نحو 20%، تضم البلدة القديمة والحرم الإبراهيمي والتجمعات الاستيطانية، وظلت تحت السيطرة الأمنية الإسرائيلية.

وكان يعيش في منطقة H2 عشرات الآلاف من الفلسطينيين إلى جانب بضع مئات من المستوطنين الإسرائيليين.

وأدى هذا النظام إلى بقاء قلب الخليل القديم تحت انتشار عسكري إسرائيلي واسع مرتبط بحماية التجمعات الاستيطانية.

إرهاب المستوطنين في الخليل

لم تكن مذبحة الحرم الإبراهيمي حدثًا منفصلًا عن السياق الاستيطاني في المدينة.

فقد سجلت تقارير الأمم المتحدة خلال تلك المرحلة اعتداءات متكررة من مستوطنين في الخليل وكريات أربع على الفلسطينيين وممتلكاتهم، شملت الضرب وإطلاق النار ورشق المنازل والمتاجر بالحجارة والتخريب.

كما لاحظت لجان الأمم المتحدة أن المستوطنين كانوا يحملون السلاح على نطاق واسع وأن وجود التجمعات

الاستيطانية داخل المدينة كان مصدرًا دائمًا للتوتر والعنف.

ولهذا طالبت القيادة الفلسطينية بعد المجزرة بنزع أسلحة المستوطنين وإزالة المستوطنات من المناطق الفلسطينية المأهولة.

إرث المجزرة

لا تقتصر أهمية مذبحة الحرم الإبراهيمي على عدد ضحاياها.

فقد كشفت المذبحة في مرحلة مبكرة من عملية أوسلو حجم التناقض بين الحديث عن السلام وبين استمرار المستوطنات المسلحة داخل المدن الفلسطينية.

كما أبرزت قضية مسؤولية القوة القائمة بالاحتلال عن حماية السكان الفلسطينيين من عنف المستوطنين.

وعلى الرغم من إدانة الحكومة الإسرائيلية للمجزرة وحظر حركتي كاخ وكاهانا حي، لم يؤد الحدث إلى تفكيك التجمعات الاستيطانية في الخليل.

بل بقي المستوطنون في قلب المدينة، وتأخرت إعادة انتشار قوات الاحتلال، وأصبح الحرم الإبراهيمي نفسه مقسمًا بعد المجزرة.

ومن منظور فلسطيني، تكمن إحدى أكثر المفارقات مرارة في أن الفلسطينيين كانوا ضحايا المذبحة، لكن التدابير التي أعقبتها أدت في جوانب أساسية إلى زيادة القيود المفروضة عليهم وعلى وصولهم إلى قلب مدينتهم وإلى الحرم.

شهداء مجزرة الحرم الإبراهيمي

N	اسم الشهيد	مكان الولادة	تاريخ الولادة	الجنسية	مكان الاستشهاد
1	رائد عبد المطلب حسن النتشة	الخليل	1974	فلسطيني	الحرم الإبراهيمي
2	علاء بدر عبد الحليم طه أبو سنينه	الخليل	1977	فلسطيني	الخليل
3	مروان مطلق حامد أبو نجمة	الخليل	1962	فلسطيني	الخليل
4	ذياب عبد اللطيف حرباوي الكركي	الخليل	1970	فلسطيني	الحرم الإبراهيمي
5	خالد خلوي أبو حسين أبو سنينه	الخليل	1936	فلسطيني	الحرم الإبراهيمي
6	نور الدين إبراهيم عبيد المحتسب	الخليل	1972	فلسطيني	الخليل
7	صابر موسى حسني كاتبة بدر	الخليل	1957	فلسطيني	الحرم الإبراهيمي

8	نمر محمد نمر مجاهد	الخليل	1960	فلسطيني	الحرم الإبراهيمي
9	كمال جمال عبد الغني قفيشة	الخليل	1981	فلسطيني	الحرم الإبراهيمي
10	عرفات موسى يوسف برقان	الخليل	1966	فلسطيني	الحرم الإبراهيمي
11	راجي الزين عبد الخالق غيث	الخليل	1947	فلسطيني	الحرم الإبراهيمي
12	وليد زهير محفوظ أبو حمدية	الخليل	1981	فلسطيني	الحرم الإبراهيمي
13	سفيان بركات عوف زاهدة	الخليل	1973	فلسطيني	الحرم الإبراهيمي
14	جميل عايد عبد الفتاح النتشة	الخليل	1946	فلسطيني	الحرم الإبراهيمي
15	عبد الحق إبراهيم عبد الحق الجعبري	الخليل	1939	فلسطيني	الحرم الإبراهيمي
16	سلمان عواد عليان الجعبري	الخليل	1957	فلسطيني	الحرم الإبراهيمي
17	طارق عدنان محمد عاشور أبو سنينه	الخليل	1980	فلسطيني	الحرم الإبراهيمي
18	عبد الرحيم عبد الرحمن سلامة	الخليل	1946	فلسطيني	الحرم الإبراهيمي
19	جبر عارف أبو حديد أبو سنينه	الخليل	1983	فلسطيني	الحرم الإبراهيمي
20	حاتم خضر نمر الفاخوري	الخليل	1968	فلسطيني	الحرم الإبراهيمي
21	سليم ادريس فلاح ادريس	الخليل	1967	فلسطيني	الحرم الإبراهيمي
22	رامي عرفات علي الرجبي	الخليل	1983	فلسطيني	الحرم الإبراهيمي
23	خالد محمد حمزة عبد الرحمن الكركي	الخليل	1976	فلسطيني	الحرم الإبراهيمي
24	وائل صلاح يعقوب المحتسب	الخليل	1966	فلسطيني	الحرم الإبراهيمي
25	زيدان حمودة عبد المجيد حامد	الخليل	1968	فلسطيني	الحرم الإبراهيمي
26	أحمد عبد الله محمد طه أبو سنينه	الخليل	1969	فلسطيني	الحرم الإبراهيمي
27	طلال محمد داود محمود دنديس	الخليل	1968	فلسطيني	الحرم الإبراهيمي
28	عطية محمد عطية السلايمة	الخليل	1961	فلسطيني	الحرم الإبراهيمي
29	إسماعيل فايز إسماعيل قفيشة	الخليل	1966	فلسطيني	الحرم الإبراهيمي
30	نادر سالم محمد صالح زاهدة	الخليل	1975	فلسطيني	الحرم الإبراهيمي
31	أيمن أيوب محمد القواسمي	الخليل	1973	فلسطيني	الحرم الإبراهيمي
32	عرفات محمود أحمد البايض	الخليل	1966	فلسطيني	الحرم الإبراهيمي

33	محمود صادق محمد أبو زعنونة	الخليل	1945	فلسطيني	الحرم الإبراهيمي